« حول مقال التشبيه في القرآن »

كتب الأستاذ الفاضل أحمد أحمد بدوي مقاله القيم « التشبيه في القرآن » بالعدد (٨٩٥) من مجلة الرسالة الغراء ، ومن يقرأ هذا المقال لا يملك أن يكتم إعجابه بما للأستاذ من ذوق فني سليم ، وحس أدبي مرهف ، ولا يمنعني إعجابي بالمقال من أن أتوجه إلى صاحبه بكلمة لا تنقص من قيمته : بعد أن قرر الأستاذ أن القرآن ليس فيه سوى تشبيه المحسوس بالمحسوس ، وتشبيه المعقول بالمحسوس تعرض للآية الكريمة : « طلعها كأنه رءوس الشياطين » وتكلم عنها كلاما يفيد أن المشبه به هنا اكتسب صفة المحسوس فأصبح في حكمه ، وبعد هذا أجرى مجرى هذه الآية قوله تعالى : « فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب » ثم قال : فهي صورة قوية للجان تمثله — شديد الحركة يكاد يهدأ ولا يستقر . والواقع أنه إذا كانت رءوس الشياطين قد صارت من الشهرة بحيث ارتسم لها في أذهان الناس شكل خاص ، فان اهتزاز الجان وشدة حركته لا يبلغ بحال أن يصل شهرته إلى أن يكون محسوسا أو كالمحسوس ... فلعل الأوفق أن يجرى هذه الآية مجرى سابقتها ، إذ أن المشبه به محسوس كذلك ، ولا يحتاج إلى مثل هذا التأويل؛ فالجان هنا ليس الجان بالمعنى الذي تطرق إلى ذهن الأستاذ ، وإنما هو حية أو ثعبان، ولا ننطق بهذا كتب المفسرين وحدهم ، وإنما تشهد بذلك كتب اللغة : فقول الجوهري في الصحاح : والجان أبو الجن ، والجان أيضا حية بيضاء ، وهذا المعنى الأخير لا يكاد يخلو منه كتب اللغة ...

ومالنا نذهب بعيدا ، والقرآن نفسه — وهو الذي يكمل بعضه بعضا ، ويفسر بعضه بعضا — يقول موضع آخر : « فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين » سورة الأعراف : آية ١٠٦ — ثم يقول أيضا : « قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى » سورة طه آية ١٩ وهكذا يتبين لنا أن المشبه به شيء محسوس فعلا لا يحتاج تأويلا أو قياسا ، ولعل هذا الذي ذكر هو أكثر اتساقا ومسايرة لنهج الأستاذ في بحثه ، فالعصا في شكلها وحركتها واهتزازها أقرب إلى الثعبان منها إلى الجان. وأخيرا فللأستاذ إعجابي وتقديري .

عبد الجواد الطيب

إلى الأستاذ عباس مضر

لا ياسيدي ، ليست روحيتنا في التواكل والأوهام والخرافات بل أنها على العكس تدعونا إلى النهوض مما نحن فيه في تكاسل وتناوم جعلنا — نحن الشرقيين — ذيلا للشعوب ، وإنما هي تنصحنا بأن يكون نهوضنا عمليا لا يكتفي فيه بطنطنة جوفاء لا تؤدي إلى غاية . وهي تدعونا إلى الخروج على ضلال الأوهام والخرافات الذي لا زال الكثيرون يعمهون فيه فلا يستطيعون التفريق بين حق وباطل .

وليست روحيتنا في الثنجيم والفنجان والكف وما دعوته باستحضار الأرواح ... إلى آخر ما أداك اليه علمك بالروحية ، فهذه الخزعبلات لمن عرف الروحية على حقيقتها ليست من الروحية في شيء . والواقع أن دعوتنا لم تقم الا لتنقية جو الروحية من هذه الصغائر وجلاء حقيقتها الكبرى ليراها الناس ، بعد أن عجزت العقول المشغولة بحب المادة عن استخلاص النتائج الدالة على هذه الحقيقة في المقدمات الطبيعية .

ولقد كان يحق لك أن تعترض على عمل « جماعة الأرواح » التي تنظر إلى وجودها بين مصدق ومكذب لأنك لا تلمس أجسامها بيديك ، لو أنك كنت قد استطعت بنفسك أن تجعل في عالمك هذا ، بعد أن تسلمت قياده وتوليت أمره ، عالماً تتسع فيه الحياة للناس جميعاً ، فلا تسمع فيه استغاثة محتاج ولا أنة مريض ، ولا يرى فيه تخبط جاهل في ظلمات جهله ؛ أما وقد فشلت يا صديقي في أن تحقق في هذا العالم ما توجبه للانسان انسانيته ، بدليل هذا الفساد الشامل والاضطراب الواقع ، فما هو إذا وجه اعتراضك على عمل هذه الجماعة التي وجهها الخالق إلى إخراج عباده مما هم فيه من ضلال وإنقاذهم مما هم صائرون إليه من سوء المآل ؟

ومن الانصاف أن نذكر أنه ليس بمستكثر ممن باعدت ميوله المادية بينه وبين الروحية أن يقع في الخطأ الذي وقعت فيه . ولو كنت اقتربت من الروحية لرأيت أن غايتها أن يتخلص الانسان

من متاعبه ويستكمل وسائل راحته ، وأنها تسعى به إلى هذه الغاية بتوجيهه الى اتباع ما وضع لانتظام الكون فى قوانين لم يشذ فى السير عليها إلا هذا الإنسان نفسه . وإنما تحارب الروحية فعلا تلك المادية التى تدفع الناس إلى سوء استعمال ما وصل إليه علمهم من هذه الوسائل .

ولقد عجبت من أنك تريد للضعفاء والفقراء أن يعوا أسباب ضعفهم وفقرهم ليتخلصوا منها ثم لا تدلهم على الوسيلة الفعالة التى يستطيعون بها ذلك ؟ بعد أن جردتهم — بانكارك وجود القوى الروحية — من تلك القوة التى تمد السماء بها الضعيف ليصبح قادراً على التغلب على من يريد أن يطغى عليه.

وزاد عجبى حينما رأيتك تعود ، بعد افتخارك واعتزازك بالانتساب إلى المادية ، لتتمسك بأستار الروحية فتقول إنه لا زال فى نفسك معناها الحقيقى الذى « هو شعور الإنسان بجمال المعانى النفسية والسلوك الانسانى الكريم ، ذلك الشعور الذى يخلق فى المرء روح التعاون والتكافل الاجتماعى ، على أن يكون ذلك ممتزجا بالواقعية فى مواجهة مسائل الحياة وبالمنطق المعقول فى فهم الأشياء » . فهل علمت ياصديقى أين الروحيين جعلوا للروحية معنى غير هذه المعانى التى رجمت تقول بها بعد أن اعتقدت « أن قانون الحياة الذى لا يدافع هو أن يستطيع الانسان أن يأخذ حقه من الإنسان ، لا أن ينتظر حتى يشعر بالعطف عليه » ؟

ارجع ياسيدى إلى الكتاب فاطلع عليه إلى نهايته ! أرجع إليه ، وفقك الله ، فدقق النظر فيه ، بتدبر معانيه ومتابعة مراميه لترى فيه معنى الروحية الحقيقى ، ولتعلم أن كاتبه لم يتعمد الحق حينما ذكر أن موضوعه ليس من وضعه وأن عبارته ليست من بنائه.

فان أبيت الا انصرافا عن جد الأمر إلى هزله ، فطالبت روحا ليقتلك ، أو يداعبك ، فليس ببعيد ذلك اليوم الذى سترى فيه من الأحداث الجسيمة والوقائع العظيمة التى كتبها الله على العالم ما يجعلك تقتنع كل الاقتناع بأن «الوساطة الروحية» لم تأت فى أمرهين ليكون موضوعها مادة للتظرف والتفكه .

عبد اللطيف محمد الرصياطى

الدراسات العليا فى الأزهر

تحت هذا العنوان كتب صديق الأستاذ عبد المنعم خفاجى فى العدد (٩٠٠) من الرسالة الغراء مقالا انتهى منه إلى أمرين (أولهما) إعادة الدراسات العليا فى الأزهر متمثلة فى تخصص المادة .

(ثانيهما) أن هذا التخصص قد قام بواجبه فى خدمة الثقافة الأزهرية خير قيام ، وقد فتح للثقافة الإسلامية آفاقا واسعة .

ولما كان الأزهر مقبلا على عهد جديد ، ولما كانت مثل هذه الكتابات تنبه الأذهان ، كان من الواجب على الحريصين على سمعة الأزهر ، والراغبين فى الإصلاح الحقيق أن يناقشوا هذه الآراء .

ولا أدرى لماذا يكره كثير من الأزهريين الكلام فى إصلاح الأزهر ، أو النقد لما ينتجه الأزهريون من كتب ، وما يطبعه أبناؤه من مؤلفات ، وما يجمعونه أحيانا من الكتب القديمة ويسمونه تجديدا ؟

وطالما تردد فى نفسى أن أكتب عن كتب أزهرية ، أو أشترك فى المجادلات التى دارت وتدور حول إصلاح الأزهر ، أو أبدى رأيى فى تخصص المادة بالذات ، ولكن كان يمنعنى أن بعض الأزهريين يضيقون أشد الضيق بالصراحة والحق فكنت أسكت على مضض ، فلما كان مقال الأستاذ خفاجى رأيت الفرصة سانحة لأن أجهر بحق طالما كتمته .

وقبل أن أخوض فى الموضوع أحب أن يفهم الذين يعنيهم هذا المقال أنى لا أقصد الجميع ، وإنما أقصد المجموع على حد تعبيرنا الأزهرى ، وأن من بين الذين تخرجوا فى تخصص المادة من هم فى الطليعة بين أساتذة الأزهر وأنى أحمل للجميع كل مودة واحترام ، ولكن لنستجيب مرة لصوت الحق .

وأعود إلى الموضوع فأقول : أما أن إعادة الدراسة فى هذا التخصص واجبة فلا ثم لا ، وأما أن هذا التخصص أخفق فى أداء رسالته فنعم ثم نعم .

لقد فكر الشيخ المراغى عليه سحائب الرحمات فى إنشاء هذا التخصص ، وكان يأمل أن يخرج منه أبو حنيفة فى الرأى ،

ومالك فى الفقه ، وعبد القاهر فى البلاغة ، وسيبويه فى النحو .. وهكذا ، فلما حضر مناقشة الفرقة الأولى ، ورأى ما هم عليه اعتراه بعض الشك

أما الرسائل التى يقول الأستاذ خفاجى أن فيها جهدا كبيرا ، وألوانا جديدة من البحث والتحليل ، فيؤسفنا أن نقول أن البلاغة العربية العربية لا تزال كما قعدها السكاكى ، وأن النحو العربى لا يزال كما وضعه نحاة البصرة والكوفة فى القرنين الثانى والثالث ، ونقول مثل ذلك فى الفقه والأصول والتفسير والحديث والكلام ، وأن هذه الرسائل لم تضف مسألة جديدة إلى العلم . نعم إن فى بعض هذه الرسائل جهودا ، ولكن هذه الجهود ليست فى الاجتهاد والإصلاح ، ولكنها فى الجمع والتأليف ، على أن الأستاذ خفاجى يضطرنا إلى أن نقول فى هذا الموضع : إن عالما أزهريا هو الآن فى الكويت قد تنفس قلمه — على ما يقال — عن كثير من هذه الرسائل بل إن بعض الرسائل من وضع لجنة من الأساتذة ، وليس لأصحابها فيها إلا وضع أسمائهم الكريمة على غلافها . وإنى لأقول عن يقين أن هذا القلم الضعيف قد ألفيت عليه رسالة ليست فى البلاغة ولا فى الأدب كما يمكن أن يفهم لأول وهلة ، بل فى الفقه . وليست فى الفقه الحنفى كما هو المنتظر ، ولكنها فى الفقه الشافعى . ولك أن تقدر ، وللقراء ان يحدسوا ماذا تكون رسالة ضاقت السبل على مؤلفها الشافعى فلم يجد إلا حنفيا تخرج فى كلية اللغة العربية ليلقى عليه عبء إصلاحها ، وإنشاء بعض فصولها !!

وأما أن الاساتذة الذين تخرجوا فى هذا التخصص حلوا بجدارة مناصب التدريس فى كليات الأزهر ومعاهده فأمر يسأل عنه الطلاب ، وما أظن أن رأيهم يوافق الأستاذ خفاجى كثيرا ، بل ما أظنه يشرف . على إنى أعتقد أن الأستاذ الفاضل لا يجهل رأى الأساتذة الذين أشرفوا على الامتحانات فى هذا التخصص ، وان لم يقنع كلامى هذا صديقنا خفاجى فليرجع إلى التقريرات التى كتبت فى هذا الشأن ، وسيحمد لى أنى لم أطلب نشر تقرير واحد منها .

وأعود فأقول إن من بين المتخرجين فى هذا التخصص من يفخر بهم الأزهر ، ولكن مع قلتهم لم يكن نبوغهم وليد الدراسة فى هذا القسم ، وإنما هى جهود شخصية ، وظنى أنهم لو لم يضيعوا زهرة شبابهم فى هذه الدراسة لكانوا أحسن مما هم

ثم أقول : لو أراد رجال الأزهر أن يعيدوا الدراسات العليا فيه ، فليفكروا فى كل شىء إلا أن يفكروا فى إعادة تخصص المادة . فانهم جميعا — بحمد الله — ممن يؤمنون بأن هذا التخصص ، لم يبلغ الآمال التى كانت ترجى من إنشائه ، وأنه كان مضيعا لمن درسوا فيه ، وأن النفع منه كان قليلا بل أقل من القليل .

(وبعد) فلعلى أكون جهرت بكلمة يعرفها كل الأزهريين ، ويودون الجهر بها . ولعلى لا أكون أغضبت أصدقائى ممن درسوا فى هذا التخصص ، فانى ما أريد إلا الخير والإصلاح والحق والإنصاف ، وقديما قال أرسطو لصاحبه : أنت صديقى والحق صديقى ، ولكن الحق أولى بصداقتى ، وإنى أعيد ما قلته آنفا : إنى أتكلم هنا عن الكثرة الغالبة ، أما النوابغ فمكانهم محفوظ ،

ع .

تعقيب على مقال

قرأت فى العدد ٨٨١ من مجلة الرسالة الزاهرة مقالا قيما بعنوان (السيدة نفيسة) للأستاذ أحمد رمزى بك وطالما اتحفنا الأستاذ بأحاديثه القيمة الممتعة على صفحات الرسالة الغراء ولكن الشىء الذى لفت نظرى واسترعى انتباهى هو استعماله كلمة خصيصاً حيث قال (... اركب خصيصاً لهذا المقام الخ ...) ولا يخفى أن صيغة فعيل بمعنى المفعول ليست من القياسات بل هى مما يؤخذ بالسماع ولم ينقل عن العرب خصيص بمعنى مخصوص . وقد جاء فى بيتين قالهما أبو الرقعمق جواباً لأصحاب دعوة إلى الصبوح فى يوم بارد وسألوه أين طعام يريد أن يضموا له ويقال